الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

ملخص المداخلة الموسومة: النموذج الإيجابي في الشعر الثوري الجزائري

أد: ليلى لعوير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المعروف عن الثورة الجزائرية، أنها ثورة عظيمة حملت كل المعاني الجميلة و القيم الجليلة التي تعبر عن فلسفة التحرير والمقاومة ،ولذا ارتبط بها الشعر الثوري كشعر يعبر عن الفعل الثوري بنماذجه الإيجابية التي استطاعت أن تصدر البطولة والتمرد والتميز و الخصوصيه بصورة إيجابية فتحت آفاق الشعوب العربية والعالمية على الضرورات القيمية في المشهد الإنساني العام لأي انتصار ولأي حرية عكسها بصورة واضحة النموذج الثوري الجزائري الفاعل في الواقع إبان ثورة التحرير والذي تفاعل معه الشعر وصدّره قيمة مضافة ، لا يزال أثرها ساريا إلى اليوم فماذا نقصد بالنموذج الإيجابي، ما أنواع هذه النماذج ؟ما مبررات توظيفها في النص الشعري الثوري الجزائري المعاصر ما أبعاد هذ التوظيف على المستوي القيمي و التشكيلي وهل استطاع النص الثوري الجزائري أن يقدم جمالية القيم بالنموذج هذا ما ستحاول هذه المداخلة الانفتاح عليه.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية ، الشعر الثوري الجزائري، النموذج الإيجابي ،توظيف النموذج الإيجابي في النص الشعري الثوري الجزائري، جمالية القيم الثورية

The positive model in Algerian revolutionary poetry

The Algerian revolution is known to be a great revolution that carried all the beautiful meanings and venerable values that express the philosophy of liberation and resistance. Therefore revolutionary poetry was linked to it as poetry that expresses revolutionary action with its positive models that were able to export heroism, rebellion, distinction and privacy in a positive way that opened the horizons of the Arab and international peoples to the value necessities in the general human scene for any victory and for any freedom. These were clearly

reflected by the Algerian revolutionary model that was effective in reality during the liberation revolution, and with which poetry interacted and issued an added value. Its impact is still valid today. So what do we mean by a positive model? What are the types of these models? What are the justifications for employing them in the contemporary Algerian revolutionary poetic text? What are the dimensions of this employment at the ‘values’ and ‘formative’ levels? Was the Algerian revolutionary text able to present the aesthetics of values by model? This is what this intervention will try to open up to.

Keywords: Algerian revolution, Algerian revolutionary poetry, positive model, employing the positive model in the Algerian revolutionary poetic text, aesthetic of revolutionary values

عنوان المداخلة: النموذج الإيجابي في الشعر الثوري الجزائري

أد: ليلى لعوير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا أعتقد أن أحدا في تاريخ الشعر العربي المعاصر، لم يصل سمعه حديث عن ثورة التحرير الجزائرية لما لها من أثر على الوجدان والعقل الإنساني ،فهي في عالم الثورات نموذج يحتذى به، ورؤية شكلت وعي الإحساس بالكينونة والانتماء للذات والوطن والعقيدة، والتواصل مع الحياة التي تجعل من المستحيل ممكنا ، حين تعطي بعدا آخر ينفتح على المدهش والمبهر والخالد والمستمر بوصف انتعاش الثورات، هو انتعاشة للإنسان الرافض للاستعمار والذل واليأس والاستعباد.

والمعروف عن الثورة الجزائرية، أنها ثورة حملت كل هذه الأبعاد ،ولذا ارتبط بها الشعر الثوري كشعر يعبر عن الفعل الثوري بنماذجه الإيجابية التي استطاعت أن تصدّر البطولة والتمرّد والتميز و الخصوصيه بصورة إيجابية ، فتحت آفاق الشعوب العربية والعالمية آنذاك **على الضرورات القيمية في المشهد الإنساني العام** لأي انتصار ولأي حرية ، عكسها بصورة واضحة النموذج الثوري الجزائري الفاعل في الواقع ، إبان ثورة التحرير حيث تفاعل معه الشعر وصدّره قيمة مضافة لا يزال أثرها ساريا إلى اليوم .

فماذا نقصد بالنموذج الإيجابي؟ ما أنواع هذه النماذج ؟ ما مبررات توظيفها في النص الشعري الثوري الجزائري المعاصر ؟ ما أبعاد هذ التوظيف على المستوي القيمي و التشكيلي ؟ وهل استطاع النص الثوري الجزائري أن يقدم جمالية القيم بالنموذج؟ هذا ما ستحاول هذه المداخلة الانفتاح عليه.

النموذج في أصل اللغة اسم جمعه نماذج أو نمذوجات، فالنموذج مثال الشيء،أنموذج ،مثال يقتدى به أو مثال يعمل عليه الشيء[1] وعادة ما يوضع لتقليده وهو مظهر للصفات أو الميزات التي تعرّف النوع أو المجموعة أو الفئة

فإذا ربطناه بصفة الإيجابي في صورته البشرية تحددت معه مجموع الصفات التي يلبسها الإنسان والتي تعكس أخلاقه السامية ومواقفه النبيلة ،وعواطفه الجياشة اتجاه الكون والانسان والحياة ، بصورة تجعله مثال يقتدى به" فينفث الكاتب في نموذجه من فنه ما يخلق منه في الأدب مثالا ينبض بالحياة ،أغنى في نواحيه النفسية ،و أجمل في التصوير، وأوضح في معالمه ، مما نرى في الطبيعة"[2] فهو بمقياس الكاتب شعلة النص ، وبمقياس المتلقي ، أثره الفاعل في توضيح الرؤية أو تغييرها أو تبنيها بعيدا عن عالم التجريد.

وقد تبلور هذا المفهوم وتشكّل في الشعر العربي عموما و في الشعر الثوري الجزائري بوجه خاص ، بتداعيات واقع الكفاح ضد الاستعمار الغاشم الذي أذاق الشعب الويلات، عسى يوقض العزائم ويثير الهمم وينبه العقول إلى أن طريق التحرير لا توجد إلا عبر فوهة الرشاش والبندقية، فكان لكلمة الثورة التي تحمل دلالات الغضب والهيجان والوثب [3] معنى ينسجم مع المفهوم الذي نستخدمه في الدراسة والذي يحيل على شعر الغضب والوثب والهيجان والتمرد ومراد التغيير الذي يثير الانتباه تعبيرا على سلسلة متنوعة من التغييرات المنوطة بإنسان الثورة والتي شكلت لا شعوريا فلسفة النموذج.

والنصوص الشعرية الجزائرية التي تعكس ذلك كثيرة ولا سيما تلك التي أبدعت في مرحلة الاستعمار بتصدير النموذج الإيجابي في صورته الفردية أو الجماعية ، المادية أو المعنوية بطريق الإيحاء أو المباشرة من منطلق تعزيز قيم الثورة والمقاومة والتأكيد على أن الروح الحرة لا يمكن أن تستسلم للظلم أو تقبل الاستعمار بكل صوره المظلمة، مغيّرة فكرة الفيلسوف ديكارت أ نت تفكر إذن أنت موجود إلى فكرة أنت تقاوم إذن أنت موجود ،فقد استطاعت الثورة أن تلد أعلاما حولتهم مواقفهم وبطولاتهم وتضحياتهم إلى رموز دالة ، على ما عرفوا من صفات العظمة أمثال : العربي بن مهيدي وديدوش مراد ومصطفى بن بولعيد وجميلة بوحيرد حيث تحوّلوا لشخصيات أسطورية متفرّدة، ارتبطت بقيمّ الجهاد و الوطنية والنضال الإنساني في أبعاده المختلفة، وتحددت كنماذج شعرية بطولية ، انعكست على كثير من أشعار العرب المعاصرين التي تمثلتها رموزا حركية أضافت للشعر طاقة الصمود المعنوي أمام التذوق الجمالي الغالب ، وغيّرت بوصلة النموذج من نموذج جمالي يضفي مسحة فنية على النص إلى نموذج قيمي ممتلئ بالمعاني الإنسانية والثورية الكفيلة بتغيير فهوم الإنسان، وتوسيع نظرته لمعنى الحياة بدلالاتها الفلسفية الكبرى الموصولة بالغيب.

لقد تمثلت الثورة التحريرية القيم معادلة حياة كفيلة بإنشاء الإنسان الباني، المتطلع للحرية والتحرير ، وأخذت من دلالات الانتماء والبطولة والمقاومة والتمرد والشهادة معانيها ، في إنتاج النموذج الذي كان الشعر الآلية الأم في تصديره ، عبر ما كتب الشعراء الجزائريون في مرحلة التحرير لإيضاح الحقيقة ، والتعبير عنها التزاما بالقضية وتفعيلا لقيم الحق والخير والجمال فيما سوّق من صور، جعلت الثورة في الضمير الشعري العربي فكرة خلاّقة عملاقة تجرف سيل الاستعمار وجنوده لتغرس نبت الحرية في الحقول والعقول يقول حسن فتح الباب:

الثورة العملاقة

الفكرة الخلاّقة

تجرف في طريقها المسوخ والطبول

والجيف المعطرة

والنصب الشائعة المبعثرة

تحرث في إعصارها الحقول

تعيد صنع الرائع النبيل [4]

لقد نفذت هذه الروح إلى أعماق الشعراء الجزائريين فحققت القفزة النوعية في ربط القيم بالنموذج بصورة تمكّن للرؤية القيمية الجديدة في مجرى العطاء الشعري الثوري والتي تحددت على هذا المستوى من خلال :

1. النموذج المنتمي/ المستعلي بالعقيدة

إن فكرة الانتماء هنا تحيل على المعنى العقدي للانتماء المربوط، بتلك الحال والشعور الذي يختلج الانسان فيحرك الشعور الإلهي فيه، ويدفع به إلى أعماق الخفايا النفسية ، إنها في جوهرها روح و شعلة داخلية مصدرها القلب ، والإرادة ، وطاقة صامدة، تكوّن تلك العلاقة الإيجابية بين العبد والرب تصل إلى أعلى درجات الإخلاص وتنعكس في القول والفعل والسلوك ،فتترجم عن القيم الإيجابية من خلال استعداد نفسي ينمّي فكرة الخلوص الكلي لله عز وجل بصورة يكون فيها الشخص المنتمي واجهة

التضحية لأجل القيم التي يؤمن بها محققا الهزة المرجوة منه كنموذج وهذه الصورة بتفاعلاتها المختلفة كثيرة في الشعر الثوري الجزائري وهي حراك معانيه و أوّليات الاستغراق في دلالته التي ترجم عنها المجاهدون على أرض القتال ، وحملها الشعر نصوصا تومئ **لمبدإ الاستعلاء بالعقيدة** حين ربطت الثورة بالسرّ الإلهي وأمدتها بالبعد الإيماني الذي يحرّك الفطرة السليمة التي ينمو في أحضانها الأدب الواعي والفاعل فيعطي العطاء الكريم المبدع الموصول بثنائية العبد والرب يقول مفدي زكرياء:

وهزت ثورة التحرير شعبا فهب الشعب ينصب انصبابا

تنزّل روحها من كل أمر.. بأحرار الجزائر قد أهابا

وقال الله كن يا شعب حربا على من ظل لا يرعى جنابا

وقال الشعب كن يارب عونا على من بات لا يخشى عقابا

فكان وكان من شعب ورب قرار أحدث العجب العجاب (5)

إن ربط الثورة بثنائية الشعب والرب هو ربط لا متناهي بين العقيدة والشعر من حيث كونهما هنا يستهدفان تمزيق حجب الاستعمار بالثورة التي استمدت طاقة اندلاعها من طاقة إيمانية يتجاذب فيها روح الإيمان مع روح الثورة لتكون الذات الجمعية ممثلة في الشعب كنموذج، ذات حقيقية تتلقى نداء التحرير الإلهي بامتلاء عقدي، يتوسم العون المربوط بالتصدي بلا خوف من العدو وعقابه، و التحرّر النفسي من كل ما يكسر نفس التحرير المعنوي والمادي ، وهي صورة تؤسس ملامح رسوخها من ثورة تنطلق من عقيدة وإيمان ،عقيدة تحكم الفرد والجماعة وتتلمس اليقين الثابت في فاعلية الثورة باليقين في الله والجهاد في سبيله يقول مفدي زكريا:

وفجر بئر مسعود بلال فأذن واستمال له الرقابا

وكبر للجهاد بها فقمنا نخضب بالدما الغالي الترابا

شققنا فوقها للمجد طرقا وفتحنا بها للخلد بابا[6]

فالجهاد هنا آلية استجلاء لمعنى الاستعلاء بالعقيدة يعمّقها التكبير الموصول باسترخاص الروح فداءا للوطن واستجلاب للخلد تقوية لها ، وهي قيم يؤسسها الايمان بالله والغيب ، فتنصهر بالأفكار المتداعية في القصيدة فتشع ثقافة إيجابية يلبسها كل منتمي تتحدد معالم رؤيته للأشياء من منطلق عقدي ، فِعْل الوعي فيه هو الشعور بمعنى التضحية في سبيل الله عز وجل والتي تلتحم بالتضحية في سبيل الوطن فيرى قويا لا تتزعزع مع الإيمان قوّته يقول مفدي زكرياء:

شعب دعاه إلى الخلاص بناته فانصب مذ سمع الندا ،وتطوعا

نادى به جبريل في سوق الفدا فشرى وباع بنقدها وتبرعا

واستقبل الأحداث منها ساخرا كالشامخات تمنعا وترفعا

وأراده المستعمرون عناصرا فأبى مع التاريخ أن يتصدعا

وعن العقيدة زوروا تحريفه فأبى مع الايمان أن يتزعزعا [7]

إن فاعلية الإيمان، هي فاعلية انتماء يتداخل فيها الإحساس بالفكرة والمنهج والغاية فيصور النموذج الجمعي/ الشعب/رؤيا تقوم على مبدإ الاستعلاء بالعقيدة الموصولة بنداء الغيب في صورة جبريل الذي نادى بها في سوق الفداء وصورة الشعب الذي لبى شامخا ساخرا من الأحداث وقد سقله تاريخه المتدفق قوة تتأبّى على الاستسلام.

ويبدو أن الرؤيا التي تشكلت ببعدها العقدي عند العامة من الشعب ارتبطت بجيش التحرير أيضا يقول مفدي زكريا:

هذي دمانا الغالية دفاقة

وعلى الجبال علامنا خفاقة

وللجهاد أرواحنا سباقة [8]

ويقول صالح خرفي:

ففي أرض الجزائر خير جند يقيم لغابر الإسلام ذكرى

كأنك فيهم ب . علي . ينادي لقد وعد الإله الحق نصرا

فهبوا لاقتحام النار وابنوا على جثث الفدا للمجد جسرا

وسيف الله يذكيها ويمضي كأسرع من وميض البرق سرا

فليت العين منك رنت إليهم إذا لتذكرت أحدا وبدرا [9]

كما ارتبطت بالنماذج الفردية التي تغنى بها الشعراء ك :العقيد عميروش الذي يقول فيه الربيع بوشامة:

في الأبطال فتيان الفدا وأخصص أعميروش منهم بالثنا

بطل الثورة يبلي أبدا في جهاد المعتدي خير البلا

ويرد الصاع صاعين له بقتال مستميت ودها [10]

وهو نموذج منتمي بطولته استمراره في جهاد المعتدي، وقتاله قتالا مستميتا لأجل التحرر والتحرير.

وليست المرأة بمعزل عن هذا الحس العقدي المتنامي فهو مصدر صبرها و شجاعتها وحنانها ورعايتها لإخوانها الشهداء يقول مُحَّد العيد آل خليفة:

قد سبقنا الرجال في البأس صبرا وتحملن فتنة الأضداد

وأثرن الأبطال للثأر منهم فاستباحوا زروعهم بالحصاد

صهرتنا الخطوب حتى ظهرنا بالبطولات في كفاح الأعادي

كم غدونا إلى جريح طريح فأسونا جراحه بالضماد

وحنونا على شهيد مجيد خط تاريخه بأزكى مداد [11]

إن النماذج في هذا السياق كثيرة وهي بأبعاد القراءة تقف على دور العقيدة في تشكيل النفسية المجاهدة الصابرة المحاربة المتصدية للاستعمار والتي تصهر الخطوب وتفرض على الذات والآخر حسها المنتمي الذي لا يمكن أن تقف على حدود وجوده أو إيجاده بكل هذه الامتلاءات الموجودة في نصوص الشعراء إلا إحساس بالانتماء وارتباط وثيق بالعقيدة .

النموذج البطل/المدافع عن الوطن:

تعد ثورة التحرير الجزائرية في معادلة القيم المفتوحة على مناهضة الاستعمار، وطلب التغيير قيمة إيجابية تحدد من خلالها النموذج البطل المدافع عن الوطن، المنافح عنه بكل ما يملك من طاقات وقدرات ،عمّق الشعر الثوري الجزائري فكرته ورسخها في الوجدان تأسيسا له ، ولما يمكن أن يقدمه من دلالات مانحة للعمق البطولي نفسيا ومجتمعيا وثقافيا "وإذا كان للبطل في الأساطير والحكايات القديمة القدرة على أن يحيل على يديه العادي والمألوف واليومي إلى أعاجيب خارقة للعادة ويواجه وحده القوى الخارقة وينتصر عليها كما بإمكانه أن يمنح الهبات والعطايا لقومه حين عودته من مغامراته الخفية "[12] فإن نموذج البطل على مستوى النصوص الشعرية الثورية الجزائرية عكس المعادلة حين ربط البطل بالواقع وفتح آفاق النموذج على تجسيد المعاني القيمية بصورة "حافلة بعناصر الإقناع، التي تؤثر إيجابيا على المتلقي وتمنحه مشروعية التأثر بالفكرة وتبنيها... ومن ثم تتولد لدى ذلك المتلقي قناعات بعينها قد تدفعه لاتخاذ موقف، وهذا التأثير واسع الآفاق رحب المدى فقد ينمو ويتسع أكثر مما في شخصية البطل [13] فكلما كان النموذج واقعيا كلما كان أكثر جاذبية وأكثر امتلاء ولا شك أن البطولات الثورية التي صدرها الشعر الثوري الجزائري كانت واقعية حين اقترنت بفلسفة الدفاع عن الوطن والموت في سبيله وارتبطت بقيم الرجولة والشجاعة والتحدي والصمود وعدم الاستسلام تشوفا للنصر وقهرا للاستعمار الفرنسي الذي لم يتوان في التنكيل بالشعب وإذلاله يقول مُحَمَّد الأخضر السائحي:

وثبنا فلا تطمعي في النجاة وثرنا فلا تحلمي بالبقا

حلفنا سنمحق كل الطغاة ولا بد للشر أن يمحقا

سنمضي ندوي مع المدفع وإن نحن متنا ولم نرجع

فإنا وقفنا ولم نركع وسوف أقول وقولوا معي

لأرض الجزائر طول البقاء [14]

فالثبات والثورة ومحق الاستعمار والموت لأجل الوطن وبقائه قيم تستغرق النموذج البطل **النحن** وهي صورة مثلى لكل النماذج المقدامة التي لا تهاب الموت والتي شكلت في الضمير الجمعي المحلي والعربي والعالمي على مستوى النصوص الشعرية صورة خارقة للبطولة عز وجودها يقول **محمد صالح باوية** عارضا نموذج المرأة البطلة التي تركت فلذة كبدها والتحقت بالجبل دفاعا عن الوطن :

إن أنا غبت طويلا وصحا طفلي ورائي خبريه إن دعاني

خبريه إنني في الكهف في الساحة في الحقل وفي كل مكان

هذه رشاشتي الصغرى لطفلي إنها قصة قومي وكياني

يا فتاتي ها أنا أزحف للموت بقلبي وأرى الفجر طواني

مدفعي ياخلجة الشعب دعاني جبل الأوراس للثأر دعاني[15]

إن النص كما هو واضح مليء بالإحساس ومعاني التضحية لأجل الوطن وجبل الأوراس في المقطع معادل موضوعي له ، و دفاعا عنه تركت البطلة كل شيء وراءها حتى الولد

لقد نقل الشعر الثوري الجزائري كثيرا من النماذج البطلة ،ولعل جميلة بوحيرد واحدة من البطلات والأبطال الذين شغلوا الدنيا فكانت في تضحياتها وتحملها عذاب السجن والجلاد ودفاعها عن الوطن واجهة الوجود والحياة التي عكسها صمودها الذي ظل مرسوما في الذهنيات رمزا بطوليا يمتد مع الأجيال لاسيما حين حكم عليها بالإعدام يقول **صالح خباشة:**

أصبحت يا بنت الجزائر للبطو له والفدا علما من الأعلام

ورسمت للبنت الأبية لوحة من مثلها عجزت يد الرسام

لا تيأسي فالفجر لاح ضياؤه أمع الضياء بقية الظلام[16]

ويقول الشاعر **مفدي زكريا** مشيدا بها وبالجميلات الثلاث جميلة بوحيرد وجميلة بوعزة وجميلة بوباشة

وحق الجميلات الثلاث وبالتي أجابت فراحت للفدا تهجر الحذرا

سنثأر حتى يعلم الكون أننا أردنا فأرغمنا بإصرارنا الدهرا [17]

بل إنه يجعلها المعادل الموضوعي لبنات الجزائر البطلات الصامدات اللواتي تلبس أنواتهن أناها حين يقول :

في صفوف القتال

انا ألهب نارا

من أعالي الجبال

أنا أدعو البدار

في معاني النضال أنا كنت المنارا

وتركت الرجال في جهادي حيارى [18]

وهي بتفاصيل الأشعار المذكورة نموذج بطولي إيجابي لم يصنعه الوهم وإنما صنعه الواقع الذي عاشته والمقاومة الباسلة التي صدرت للعالم قيم الصمود والفداء واسترخاص الروح لأجل الوطن وجسدت فكرة النموذج البطل الذي قيلت فيه كثير من الأشعار العربية مشرقا ومغربا

النموذج الشهيد/المستبخس للروح:

إن التضحيات الجسيمة التي قدمها أبطال الجزائر ثمنا للحرية ومنافحة على استقلال الوطن رسمت في المخيال الشعري الثوري الجزائري نموذجا بطوليا عز وجوده في الزمن الراهن،، ارتبط بمفهوم الشهادة والشهيد الذي يمثل رمزا للتضحية والعطاء في أعلى صوره ومعانيه وهي في التصور الإسلامي أرقى أنواع الموت وأعلى درجات الجهاد لأنها

ذات ارتباط وثيق بصفاء القلب وصفاء الضمير وخلوصه وتجرده وتحرره من الأوهاق والقيود التي تطمس عليه شفافيته وتقعد به دون الفرار إلى الله [19]

وليس هناك شهداء إلا الذين يقتلون في سبيل الله [20] خالصة قلوبهم لهذا المعنى الذي يتشكل به **أفق استبخاس الروح** والتضحية بها دون اكتراث للموت حين يأتي النفير ذلك أن الشهادة بالمعطى القرآني حياة ممتدة جسرها الموت وآلتها جهاد العدو وقتاله قال تعالى "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا به ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون"[21]وكل شهيد فارق الحياة التي نعرفها وكان شاهدا عليها هو حي يزرق ، فرح ، مستبشر لم ينفصل عن الحياة الدنيا بمدها الروحي الذي عدّل فلسفة الموت التي تعني بمعناها المادي الانفصال عن عالم الشهادة وجعلها اتصال بعالم الغيب في أبهى تجلياته وعطاءاته وصوره ووفقا لهذا المفهوم الجديد الذي أقامته هذه الآية ، وآيات أخرى سارت خطى المجاهدين في طلب **الشهادة** [22]

و هي حقيقة بنى عليها النص الشعري العربي بعد الإسلام وبامتداد العصور أشعاره وهو يحتفي بالشهيد ويصور الشهداء وآثارهم مشاهد زاخرة بالمضامين والمعاني القيّمة والأساليب والقوالب المتنوعة، فإذا الشهيد فيها نموذجا قيميا ورمزا ثابتا متعاليا يذكي جذوة التضحية بلا حدود بصورة يكون فيها إعلاء صوت الحق واجهة الحضور، وحرية الوطن وجه من وجوه الحق التي تتمثل بالإخلاص معنى الخلوص الكلي لله عز وجل .

ونظرا لأهمية الشهيد في ترسيخ قيم البطولة الوطنية ، فقد دأب الشعراء الجزائريون على تفعيل ذلك في نصوصهم الثورية مستحضرين المعاني الروحية المشكلة لفعل الاستشهاد في تصوير نفسية الشهداء وبطولاتهم التي لا تكترث للموت بل تستقبله باعتزاز وامتلاء وأقوى صورة مثلها مفدي زكريا في قصيدته الذبيح الصاعد وهو يودع أول شهيد على مقصلة سجن بربروس سنة1955 الشهيد أحمد زبانة أو أحمد زهانة ويرسم بتفاصيل الشعر حالته النفسية وهو يستقبل الموت لحظة إعدامه متخيلا إياه من زنزانته على آلة خنقه شامخا شموخ المؤمن وهو يستعد للقاء الموت يقول:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيد

باسم الثغر كالملائك أو كطفل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه جلالا و تيها رافعا رأسه ينادي الخلودا

حالما كالكليم كلمه المجد فشد الحبال يبغي الصعودا

وامتطى مذبح البطولة مع راجا ووافى السماء يرجو المزيدا

وتسامى كالروح ليلة القدر سلاما يشع في الكون عيد [23]

والنموذج هنا شكلّه تصور إسلامي عارف ، لذا الشاعر تداخلت فيه الشخصيات المقدّسة المسيح عيسى عليه السلام بنفي الصلب الذي هو واجهة العذاب المادي المحسوس مع الأجسام النورانية الملائكة التي هي واجهة الخلود أو الحياة الخالدة مع رهبة الموقف الموصول بكليم الله موسى على سبيل المشابهة ليكون فعل القيام **فعل حضور الزمن الثاني الموصل بالخلود** حتى لكأن القيام للموت هو القيام للحياة التي تستدعي الانتشاء والفرح والسعادة بما هو قادم فلا تكثرث للموت بل تردد:

صرخة ترجف العوالم منها ونداء مضى يهز الوجودا

أشنقوني فلست أخشى حبالا واصلبوني فلست أخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جلا دي و لا تلتثم فلست حقودا

واقض يا موت فيما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا

أنا إن مت فالجزائر تحيا حرة مستقلة لن تبيد [24]

لقد كان هذا أمرا جديدا ، ارتجفت منها العوالم واهتز الوجود له، ولكن لم تهتز النفسية الشهيدة بل عرجت إلى السماء منتشية بالخلود وهي قيمة روحية تستعصي على غير موقن بها، أن يعيشها بامتلاء الشاعر الذي تخيّلها وهي تمشي للمقصلة صافية الروح لا تمتلك حقدا على جلاّدها كروح العارف تسترخس الروح لله سخية العطاء راضية بموتها لأجل سعادة شعبها وحرية وطنها وهذه أعلى درجات التضحية فليس أغلى من هدايا الروح.

وحين نرصد الرؤى التي تتكئ على **البعد الغيبي** نجد قصيدة ضيف الله للشاعر عبد السلام الحبيب الجزائري تنحو هذا المنحى أيضا وهي تمجّد البطل مصطفى بن بولعيد وتهنئه بالشهادة التي أهدته الخلود بالذكر الطيب في الدنيا

والذي سطّره دمه الطاهر وشجاعته في مواجهة الموت والخلود في جنات النعيم بشرف النضال في سبيل الله والوطن وهي أعز منزلة يرقى لها رجل يقول:

الله خصك بالتكريم والرسل لك الجنان هنيئا أيها البطل

لك الخلد خلود الذكر سطره دم طهور وقلب ما به وجل

دم الشهادة ما أعطيت جل دم الله باركه هل بعد ذا أمل

يهنيك يا مصطفى ما نلت من شرف نضالك الفذ في هذا الورى مثل

تلك الجراح وسام الله نلت بها أعز منزلة يرقى لها رجل

ومن تكن في سبيل الحق ثورته يلقاك يا رب وهو الباسم الجذل

ضيوفك الشهداء الذين أنت لهم ظل رؤوم توارت دونه الظلل

ووعدك الحق في القرآن أن لهم جنات عدن منهم روادها الأول [25]

وهذا النص كما هو واضح، يتوسد الملفوظات الدالة على الحس الإسلامي في أبعاده الروحية الموصولة بالجنان والخلود والشهادة والمنزلة العليا عند الله وهي **عوالم سماوية غيبية** لا يصل إليها الإنسان إلا بقيم الصدق والصفاء والتجرد والخلوص وتوصيف الشاعر لا يقف عند تصور تجريدي مثالي عاش عليه في عالم الوهم والخيال وإنما ارتبط ببطل واقعي تمثل الشهادة في أبعد معانيها وهو يدافع عن الجزائر وفكرة التحرير متمثلا قول مفدي زكريا:

من يشتري الخلد إنّ الله بائعه فاستبشروا ، واسرعوا فالبيع محدود [26]

وليس مصطفى بن بولعيد وحده من تفاعل معه الشعراء فهناك نموذج اسي عميروش الذي كان في مخيال الشاعر عز الدين ميهوبي نموذجا للنخيل الواقف كمعادل موضوعي للشموخ و الكبرياء وهو يتصدر الشهادة في صورة الشمس التي تومئ للإشراق والأمل وفي صورة الجلاد الذي يحيل على المستعمر الغاشم فاتحا باب النموذج القيمي المناهض له في قوة إيمانية ورسوخ عقدي متين رصده الشاعر وهو يخاطب الشهيد مشتغلا على الفلسفة الإسلامية في نظرته للموت والشهادة يقول:

مت واقفا كنخيلنا

كنخيلنا مت واقفا

أنا ما عهدتك خائفا

واشمخ بأنفك في السما

فالحر يسقط مرة

ويرى الشهادة كبرياء

مت واقفا كنخيلنا

فالنصر تصنعه الدماء

مت واقفا

وانعم بجنات الخلود

فلك المحبة والورود [27]

ولعل الملاحظ بعد هذه التصديرات للنماذج الثلاث . و التي تجاوزنا غيرها وهي كثيرة . أن النص الثوري الجزائري استطاع أن يخترق عوالم الآخر من منطلق أن النموذج مصنوع وفق ثلاثية: **العقيدة** . /**الواقع** . / **الغيب** . المقابل للخلود .

وهذه الثلاثية وفق التصور الإسلامي عادة ما تحمل المتلقي على الاستئناس بها لأنها مصدر إشعاع داخلي **يؤسس للطاقة الصامدة** التي تشكّل النموذج الذي أبانت عنه النصوص الثورية الجزائرية في صورتها الجماعية : الشعب /الجند أو في صورتها الفردية المرأة / الرجل بتسميات أصبحت بالمعطى الفني والقيمي رموزا خالدة ، ك مصطفى بن بولعيد ،وجميلة بوحيرد، وسي عميروش وغيرهم كثر، انعكست على الشعر العربي بمختلف أمصاره ، وتصدرت أشعار شعراء

العراق كنازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي و بدر شكر السياب وشعراء سوريا كنزار القباني الذي أبدع في تصدير نموذج جميلة بوحيرد في صورتها النفسية أو الحسية أو البطولية وشعراء المغرب العربي أيضا

ولعل مبررات هذا التوظيف ترتبط ب:

. تحفيز الوعي نحو ضرورة تمثل النموذج الإيجابي في الذهنيات وفي الحياة وأكثر ما ظهر في تأثير شعر الثورة في الشعر المغاربي والعربي كما سبق الإشارة إلى ذلك.

. تفعيل فكرة الرّسالية في الخطاب الشعري العام، وتعميق الوظيفة الإعلامية للشعر في محن الأوطان من خلال تصدير الثورة التحريرية إلى العالم عبر الشعر.

. التنبيه إلى أن النموذج الإيجابي هو معادل موضوعي لكل قيمة إنسانية منتجة للشعر الذي يساوي الحضارة في صوره البانية القائمة على أن الاستقرار هو منطلق الحياة الفاعلة .

ويمكننا القول في الأخير أنّ الشعر بتمثلات الأشعار المختارة أو المزروعة في النص الشعري الثوري الجزائري عموما قد انفتح على البعد العقدي كترسيخ العقيدة وجعله منطلقا لكل تضحية وعلى البعد الوطني كحب الوطن والدفاع عنه ومحاربة كل من تسوّل له نفسه استعماره والبعد العربي الموصول بفكرة أن اللحمة العربية واحدة وحس الإسلام والعروبة والهم جامع برغم الاختلافات وعلى البعد الحضاري القائم على أن الإنسانية هي جماع هذه القيم التي صنعت وتصنع النموذج الإيجابي في كل زمن.

الهوامش:

1 . انظر:dict almaany .com ar لفظة نموذج

. 2انظر مُحَمَّد غنيمي هلال :الأدب المقارن، دار العودة ،بيروت،ط3،سنة 1983 ، ص303

3 . للتوسع انظر القاموس المحيط : مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي ،تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط 8،سنة2005ص359

4. حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، الدار المصرية اللبنانية ط1، سنة2005، ص103.

5. مفدي زكرياء: اللهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط4، سنة2000، ص31.

6. المصدر نفسه ص33

7. المصدر نفسه ص 59

8. المصدر نفسه ص 79

9 . صالح خرفي، أنت ليلاي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1974ص11

10 . جمال قنان/ديوان الشهيد الربيع بوشامة الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد سنة 1994، ص187

11 . مُحَمَّد العيد أل خليفة: ديوان مُحَمَّد العيد أل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ط 3، د ،س،ن ص15

12. انظر جوزيف كامل: البطل بألف وجه،تر حسن صقر،الدار الثقافية للنشر ، القاهرة،ط1،سنة2000،ص30

13. نجيب الكيلاني :مدخل إلى الأدب الإسلامي،دار ابن حزم،،ط2،سنة1999ص 57.56

14مُحَمَّد الأخضر السائحي: همسات وصرخات ،دار الطليعة للطباعة والنشر سنة1965ص154.153

15مُحَمَّد صالح باوية: أغنيات نضالية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع د،ت ص41.

16صالح خباشة ، الروابي الحمر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،سنة1970،ص56.

17 . مفدي زكرياء: اللهب المقدس ص 318

18المصدر نفسه، ص94.

19للتوسع انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، م 1 الأجزاء من4.1،دار الشروق،ط35،سنة458،2005

20المصدر نفسه ص517

21سورة أل عمران الآية 69

22سيد قطب:في ظلال القرآن ،م1،ج4.1ص 518

23. مفدي زكرياء : اللهب المقدس ص9.

24. المصدر نفسه،ص،ن

25. عبد السلام الحبيب الجزائري: اذكريني يا جزائر ،ص 96

26 . مفدي زكرياء : اللهب المقدس ص 271

27عز الدين ميهوبي الشمس والجلاد غنائية الشهيد مُحَمَّد العربي بالمهيدي،ط1،دار الأصالة، سطيف، الجزائر سنة 1988،ص93